إن الحركات الأرضية في الطور الثاني لبناء جبال زاگروس وتشكيلها في عصر المايوسين ساعدت على إلتواء الطبقات الصالحة للتجمّع النفطي في منطقة كركوك بدرجات متوسطة ساعدت على خزن الكميات العالية من النفط في قمة هذه الإلتواءات، وإن هذه الحركات سبب إلتواء الأجنحة الجنوبية للطيّات أكثر من الأجنحة الشمالية، وفي بعض هذه الطيّات حدثت الفوالق على طول محورها، حيث زادت شدة هذه الفوالق في بعض المناطق، وسببت نضوح المواد الغازية المتجمعة فوق الأجسام النفطية في قمة الطيات داخل الخزانات تحت السطحية، كما حدث في منطقة بابا گرگر بشكل لهب ناري والمعروفة بالنار الأزلية.

النتائج

١- إن أحد أهم العوامل الجيولوجية لمنطقة كركوك هي موقعها الوسطي في المناطق الملتوية والمنزلقة للطيّات العالية في المناطق الجبلية، ومنطقة الصحراء الغربية للعراق.

٢- تكوين سلسلة من الطيات ذات القمم القبابية بإتجاه شمال شرق وجنوب غرب منطقة كركوك لخزن أكبر كمية من المواد الهيدروكاربونية في المنطقة.

٣- حدوث سلسلة من الفوالق تحت السطحية من الطبقات المولدة للنفط الى الطبقات الخازنة له مع إمتداد الطبقات المدفونة قرب السطح لتشكل قناةً لهجرة النفط من الأسفل الى الأعلى.

٤- تهيأت في عصر الأوليغوسين أحسن فرصة لترسيب الصخور الخازنة للنفط في منطقة كركوك فقط.

٥- في عصر المايوسين تهيأت ظروف لترسيب صخور المتبخّرات (الجبسوم) فوق الطبقات الخازنة للنفط لمنح النضوح.

٦- في عصور ما قبل المايوسين لم تتأثر منطقة كركوك بالحركات التكتونية الحركية بدرجات عالية لتسبب إنهدام وكسر الخزانات النفطية.

المصادر

- Al - Janabi, M. E. 1996, Getectonic madel of Iraq M.sc thesis baghdad.

- Baker, N.E. 1938, 1952, 1935 Science of Petrolum Vol 1 and AAPG Ball 36 - 1952 im Bellen, R.C. 1955 (The stratigraphy of the main Limeston of the Kirkuk, Baihassan, and Qarah chuag dagh structure in north Iraq. Iraq Petrolum Companies Kirkuk Iraq.

- Beydoun, Z.R. 1991, Arabian plate Hydrocarbon Geology and Potential a plate tectonic approch, AAPG studies in Grology No 33, 77 P.

- Bellen, R.C. Van, 1955, The stratigraphy of the main Limestone of the Kirkuk, BAI HASSAN, and

Qarah chaug dagh structure in North Iraq, Iraqi pertoleum and Associated companies Kirkuk, Iraq.

- Buday, T. and Jassim, S.z. 1987, The regional geology of Iraq. Vol. 2. Tectonic, Magmatism, Metamorphism, SEGSMI, Baghdad, PP. 352.

- Daniel, E.J. 1954, Bull, AAPG. Vol. 35. pp 774 - 815.

- Dercort, J. Zoneshanin, L.P. Ricon, L. E.Kazmin V.G..., 1986, Geological Evolution of the Tethys belt from the Atlantic to pamirs Tectonophysics pp. 241 - 315.

- Hinson, F.R.S. 1950, Cretaceous and tertiary ref Formations and associated sediment in middle east (AAPG) Bull. Vol. 34. pp 215 - 288.

- Marouf, N.Z. 1999, Dyn]mic evolution of the sedimentary Basins in northern Iraq and Hydrocarbon formation, migration and entrapment.

- Rebellc, M.D. Temps, J.M, Xzvire, J.P. Flament, J.M. 1998, Zagraos structural study for deep pertolum traps investigation ELF - Exploration, The 13th Iraqi Geol. cong.

- سورداشي، علي محمود أسعد، ١٩٩٨، أصل ونشاه أراضي وجبال كُردستان العراق، مجلة زانكو، المجلد (٢) خاص بالمؤتمر العلمي الثالث لجامعة صلاح الدين.

ال ربيعة، باسم محمد نادر، ١٩٩٠، تكتونية نهوض الرطبة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٢ صفحة.

كركوك في العصور القديمة

د. جمال رشيد أحمد
أستاذ في تاريخ الشرق القديم

المقدمة

كركوك

كركوك مدينة عتيقة تقع في المناطق المتموجة شمال سلسلة جبال حمرين التي تفصل بلاد العرب عن كُردستان وهي على بعد حوالي ٢٩٠ كيلومتراً شمال العاصمة العراقية بغداد. ومن نتائج الدراسات التي أجريت في المناطق القريبة من هذه المدينة على آثار القرى الميزوليثية (المرحلة الواقعة فيما بين العصرين الحجريين المتوسط والحديث كمستوطن كريم شهر) والنيوليثية (العصر الحجري الحديث كمستوطن جرمو)، الفترتين اللتين شهد الإنسان خلالهما حياة الإستقرار إثر قيام الثورة الزراعية في المرتفعات الشمالية لهذه المستوطنات تزامنتا فيما بين الألف العاشر والخامس قبل الميلاد حين إعتمد الإنسان في إنتاج قوته طوال هذه الفترة على الأمطار بعد أن جرى تبدل جذري على وسائل عيشه وتحولت معالمها من الصيد إلى الزراعة، فإن الخط البياني لإنتقال هذا الإنسان من هذه المرتفعات نحو السهول، وخاصة في نهاية عصر حضارة تل حلف (أواسط الألف الثالث ق.م)، يشير إلى أنه قد ترك الجبال والكهوف وتوجه من المناطق العليا الى المقاطعات الجنوبية بعد أن ظهرت فيها المواقع الغنية بترسبات غرين النهرين العظيمين دجلة والفرات وروافدهما كالزابين وديالى والخابور متعقباً شروطاً أكثر ملاءمة لوسائل الإنتاج الزراعي.

وبعد إجراء الحفريات في المستوطنات المتطورة التي أقيمت في العصر البرونزي على ضفاف هذه الأنهر، تبين لدى المتخصصين في علم الأركيولوجيا أن سكاناً من عصر ما قبل ظهور الكتابة هم الذين مهدوا الطريق لقيام المدن المتميزة في المناطق الجنوبية حيث أقاموا حضارتهم المحلية إستناداً على الخلفية الحضارية لأجدادهم في الشمال، وقد سبقت هذه المرحلة فترة تتميز بوصول القبائل البدوية للساميين والهنود الأوروبيين إلى وادي الرافدين. وبالرغم من الدوافع الإقتصادية وحاجة المهاجرين إلى أراضي سهلية زراعية خصبة، فإن بناء أقدم المدن غير المسورة في الجنوب كان يستند برأي ملوك دويلاتها على مجموعة من الإعتقادات الروحية البدائية، فإمّا كان السبب تنفيذاً لأوامر

الآلهة حسبما إدّعوا كانوا يحققونها على حساب طاقات أبناء الطبقات المسودة وكان من أبرز معالمها بناء الزقورات التي تمركزت فيها بيوت المعبودات أو كان الغرض من بناء القلاع والحصن في الشمال هو لتجميع أسباب الحياة للسكان فيها مع توفير وسائل الدفاع عن أنفسهم بواسطتها. وبهذه الطريقة بدأ سكان القرى القديمة مثل جرمو وكاني سور ومطاره يتمركزون في قلعة كركوك خلال عصر صناعة الفخار الذي يسبق عصر التدوين في سومر، ويرجح أن سكان مواقع أخرى كتل حسونة وتل الصوان قد إستفادوا من حضارة سكان المستوطنات الشمالية. وبعد أن أغار ملوك سومر وأكد الأوائل على بلاد سوبارتو (الصيغة السومرية والأكدية لمفهوم البلاد العليا) خلال الألف الثالث قبل الميلاد، فإن أقدم سجلات الخطوط المسمارية تشير إلى أن قلعة كيرخي (كرخا = قلخا = قلعة) كانت تقع في أرّابخا Arrapha باقليم كوتيوم Quti-um. وعلى هذا الأساس، فإن الكوتيين هم الذين أنشأوا كرخا على أغلب الإحتمال، إلا أن الحوريين طوروهابعد أن نزحوا اليها من المستوطنات المحيطة بهذه القلعة مثل شوشاره ونوزي وكوروخاني في مطلع الألف الثاني قبل الميلاد وذلك نتيجة إجتياح الهنود- الآريين لمرتفعات جبال زاگروس والمناطق الشمالية والشرقية لوادي الرافدين حيث أدت هذه الظاهرة إلى تحركهم مع العبريين وغيرهم نحو سورية ومصر حيث عُرفوافي التأريخ بالهكسوس (بدو آسيا).

بنيت كركوك في الأصل كقلعة على تل مدور ذي أربع زوايا ترتفع عن السهول المحيطة بها بحوالي ١٢٠ قدماً وتشرف على وادي نهير صغير ذي مياه قليلة يفيض عادة في الفصول الماطرة ويُعرف بـ(خاصه چاي) وعلى ما يظهر فإن هذه القلعة حصّنت بسور في العصور القديمة وكان لها أربعة أبواب عُرفت في العهد العثماني بالباب الرئيسي ذي المدرجات وباب الطوب (طوپ قاپيسي) وباب البنات السبع (يَدّي قزلَر) وباب الحَلْوَجية (حَلواچيلَر)، وعلى العرف السائد في الإدارة العثمانية فقد كانت الأسواق حسب التخصص والأصناف تحيط مباشرة بالقلعة المسكونة، لكن الدوائر وسرايا الحكومة فكانت تنتشر داخل القشلة المبنية في الطرف الغربي من النهير. وبناءً على ذكرياتنا فقد كانت هذه القلعة تحتوي على بعض المزارات والمساجد والتكايا وبقايا بعض الأبنية والآثار التي تعود إلى مطلع العصر التأريخي (الألف الثالث والثاني قبل الميلاد)، كما أن النقود التي كنا نجدها بين بقايا البيوت الخربة كانت تحوي غالباً رموزاً إخمينية وهللينية وفرثية وساسانية، وكان هناك على التل حصن مثمن الأضلاع يرجع زمنه إلى العصر السلجوقي. أما أشهر المجمعات السكنية في قلعتنا فكانت تقع في قسمه الغربي الذي أشتهر بمحلة حمام حيث شاطر فيها المسلمون إخوانهم المسيحيين لقرون عديدة وكان كل من مركز مطرانية باجرمي Bêth Garmê وجامع النبي دانيال يقعان في نفس المحلة. ونتيجة للسياسة الإقتصادية التي سادت في هذه المدينة بعد أن ضمّها البريطانيون إلى المملكة العراقية وبعد تطور صناعة النفط في المناطق القريبة منها كموقعي عرفه وباباگرگر (على بعد ميلين في الشمال الغربي) حيث كانا من أغنى حقول العالم في القرن العشرين، إنتقل عدد كبير من سكان القلعة إلى خارجها مقتربين من مظاهر التطور التي بدأت تسود في الجانب الغربي من نهر

(خاصه چاي) بعد أن إستوطن فيه المهاجرون وكان أغلبهم من المسيحيين. ولقاء هذا الواقع الجديد فقد لقي أهل كركوك في بداية العهد الملكي، وخاصة بعد أن إستعلى منتسبو قوات الليڤي عليهم، بعض المشاكل مع الآثوريين الذين عيّنهم البريطانيون في شركة النفط العراقية IPC وكانوا يتميزون بثقافة ولغة تختلف عن ثقافة السكان الأصليين من الكُرد والتركمان، إلاّ أن الطمأنينة سادت على حياة هؤلاء نتيجة النمو الإقتصادي في جميع أنحاء العراق.

وبعد إعتراف مفجروا ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ بشراكة الكُرد مع العرب في السيادة على الوطن العراقي حيث جسدوا هذا الإعتراف في المادة الثانية من الدستور المؤقت، تعقدت مظاهر الحياة في هذه المدينة مرة أخرى بسبب شعور التركمان بغبن إعتقدوا أنه أصابهم لعدم ورود إسمهم في هذا الدستور، فأثارت القوى السياسية اليمينية العربية التي لم يكن لها أي نفوذ في كركوك، وبالأخص حزب البعث العربي الإشتراكي الضعيف آنذاك، حفيظة التركمان على هذا الأساس لمحاربة الوجود الكردي في هذه المدينة ثم ظهر من خلال نقل عدد كبير من العنصر الكردي لموظفي السلطة التنفيذية في إدارة المدينة شرخ كبير في ذهنية السكان الأصليين وعلاقاتهم مع بعضهم البعض وهو ظاهرة نشأت في الأصل من خطة البريطانيين وترسبات إدارتهم أيام الإنتداب والعهد الملكي وكانت تتلخص في تعريب بعض النواحي (كالحويجة) وجمع القوميات والطوائف غير المنسجمة فيما بينها من ناحية الدين والعقيدة واللسان في مدينة مثل كركوك ملحقين إدارتها بمملكة عينوا عليها أسرة غير عراقية لكي تقود هذا المجتمع المتناقض، فبدأت الأحزاب السياسية العربية تتبنى حل هذه المعضلة بناءً على توجهاتها الأيديولوجية الموزعة فيما بين اليسار واليمين المعتدل والمتطرف، أما الكُرد، فبالإستناد على الأعراف القبلية وصداقتهم المرتبطة بالقوى العربية التي لم تناصبهم العداء، إختاروا بطبيعة الحال طريقاً مشروعاً لكي يدافعوا عن حقهم بأبسط المطاليب ومنها تشكيل مديرية عامة لمعارف كردستان التي لم تر النور بتاتاً. ومع ذلك، لم يتمتع هؤلاء بإنعكاسات المادة الثانية من الدستور المؤقت غير الإجازة التي تمتع بها الحزب الديمقراطي الكردستاني لحد أواسط عام ١٩٦١ لكي يكون نشاطه علناً. ففي الواقع العملي بدأت العناصر اليمينية العربية المشرفة على دوائر الدولة تضطهد الكُرد في أغلب مجالات الحياة، وقد أصاب هذا الإضطهاد أبناء القومية الكردية في كركوك أكثر من أي منطقة أخرى بكردستان. فالسلطة العسكرية للفرقة الثانية التي كان يتزعمها ناظم الطبقچلي وبالتعاون مع أجهزة الأمن والشرطة بدأت تحارب الكرد في كركوك بحجة القضاء على (الفوضويين...؟)، نتج عن هذه الظاهرة صراع منظّم بين القوى السياسية للمجموعات الإثنية في المدينة، إما بدعوى الدفاع عن مكاسب ثورة ١٤ تموز كان يرفع شعارها اليسار العربي حيث لم يتمتع الكرد بهذه المكاسب حتى في إطار تطوير ثقافتهم القومية، أو الدفاع عن عروبة العراق الذي دعا اليه اليمين العربي لتحقيق الوحدة الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة بدون إستشارة الكرد، فإنعكست مظاهر هذا الواقع سلبياً على القضية القومية للكرد بشكل عام وخاصة بعد أن مالَ عبدالكريم قاسم نحو القوى اليمينية المتطرفة إثر تعرضه للإغتيال بيدهم يوم ٧ من تشرين الأول عام ١٩٥٩، فأمر بتعيين عدد كبير من

أفراد هذا الإتجاه في مؤسسات السلطة التنفيذية بكركوك وذلك لتقليل شأن اليسار المتطرف الذي جمع بين صفوفه أغلب جماهير القوميات والطوائف غير العربية، فإستغل القوميون العرب والبعثيون هذه الفرصة على حساب التركمان وثبّتوا أقدامهم في مؤسسات كركوك، وبعد إنقلابهم عام ١٩٦٣، تسلطوا بنهج عدواني على رقاب المجتمع الكركوكي الأصيل. ثم تعقدت الأوضاع أكثر فأكثر عندما بدأت عملية التعريب والتبعيث تشمل جميع مؤسسات الدولة، فطُرد على هذا الأساس، وبشكل جماعي، كل الموظفين والمتخصصين الكُرد من الإدارات التنفيذية، كما شملت هذه الظاهرة مهندسي وعمال شركة النفط IPC. وعندما وسع رجال إنقلاب ١٧ تموز عام ١٩٦٨ دائرة سياستهم العنصرية، بدأوا يطردون الكُرد حتى من دورهم ومساكنهم، ثم إستملكوا بيوت أولئك الذين إلتحقوا بالثورة الكردية عام ١٩٧٤، وأخيراً وضعوا أيديهم على كل القرى والنواحي الكُردية التي تحيط بمدينة كركوك ونفذوا سياسة الجينوسايد بحق سكان مناطق داكان وصوريا ودولي آلانه الى أن قضوا على خمسة آلاف من سكان مدينة حلبجه فظهرت نتيجة هذه السياسة قضية معقدة تتعلق بخرق الحقوق الإنسانية لشعب بكامله فضّل عام ١٩٩١ ترك بلاده بالإجماع حيث لايزال شبابه في طريق الهجرة.

لقد تفضل بعض الإخوان من أعضاء الهيئة التحضيرية المشرفة على الندوة العلمية المتعلقة بكركوك التي سيعقدها مركز كربلاء في لندن خلال يومي ٢١ و٢٢ من شهر تموز عام ٢٠٠١ وأبلغونا بخطاب تحريري دعونا فيه ان نساهم في هذه الندوة بنتاج جديد وغير منشور سابقاً، فرأينا من هذه الدعوة المشكورة فرصة مناسبة لكي نضع الحقائق التأريخية ضمن دراسة جدية باللغة العربية. وبعد تقديمها بعدة أسابيع؛ ترجم الأخ الأستاذ كمال غمبار مشكوراً هذه الدراسة بدقة الى الكردية مباشرة وألقاها في ندوة خاصة عقدت لنفس الغرض في مدينة أربيل، ثم رأى السيد بدران أحمد حبيب مدير مؤسسة آراس أن هذا الجهد جدير بالطبع بشكل كتيب صغير لكي يتوفر عند أغلب المهتمين بموضوعه، فبادر بتحقيق رؤيته في بداية عام ٢٠٠٢، لكن الذي أعاد كتابة نصوص هذا الجهد أهمل، بجانب عدد من الأخطاء، طبع مصادره السلافية المكتوبة بالحروف الكيرلية والإشارات الخاصة التي وضعناها على الحروف اللاتينية لتحديد أصواتها بدقة، ثم غيّر أماكن الصور التي كنّا حدّدناها كل صفحة يتعلق موضوعها بإحدى هذه الصور والأغرب من ذلك أنه وضع عدداً من هذه الصور في بداية الكتاب بدون مناسبة. وبناءً على هذه الحقيقة، وبموافقة السيد بدران أحمد حبيب إرتأينا أن نعيد طبع هذه الدراسة شخصياً وبجهاز حاسوبنا الخاص، وبما أننا من مواليد قلعة هذه المدينة العريقة حيث شاركنا أيامها الحلوة والمرة ودرسنا في مدارسها الإبتدائية والثانوية وأقمنا فيها خلال فترة خدمتنا في السلك العسكري والمدني ثم غادرناها إلى الخارج في بداية شهر تموز من عام ١٩٦٨ لكي نستمر في دراستنا العليا وبعد رجوعنا اليها لم تسمح لنا السلطة بالإستقرار فيها، وأثناء زواجنا عام ١٩٨٢ حرمتنا من مواطنتها رسمياً، ثم فقدنا مع أطفالنا حق التسجيل في دائرة الأحوال المدنية لهذه المدينة رغم كونها مهبط ولادتنا وولادة الأطفال، ثم مسح المسؤولون في تلك الدائرة كل أثر لحقيقة إنتمائنا لمحافظة كركوك، فبذلك أسقطت منا السلطة كل الحقوق الإنسانية،

ومنها حق العمل والدراسة والسكن وإمتلاك العقار والبنايات بعد أن كنا نمثّل أسرة لها مركزها المتميز داخل مدينتنا العريقة، فقامت سلطة اليمين المتطرف عام ١٩٦٢ بحجز أموال المرحوم والدنا المنقولة وغير المنقولة بتهمة التمرد والعلاقة الشخصية التي كانت تربطه بالزعيم الراحل مصطفى البارزاني وإعتقلته في معتقلات سجن الشرطة والسراي الكبير بكركوك ثم نقلته عام ١٩٦٣ مع المئات من أمثاله داخل عربات الحمل لقطار كركوك– بغداد بصورة مأساوية إلى المسيب، وأخيراً وضعوه في زنزانة شرطة الخناق بالسماوة لعدة سنوات الى نهاية السبعينات من القرن الماضي. وزيادة على ذلك فقد منعنا مسؤولوا هذه السلطة بكركوك خلال الثمانينات من القرن الماضي من إستئجار دار لنقيم فيها فإتضينا بحياة الفنادق أثناء عملنا في جامعة السليمانية التي إنتقلت الى أربيل بعنوان جامعة صلاح الدين، وبإلصاق تهمة إسناد طلبة هذه الجامعة أثناء إضرابهم عام ١٩٨٢ على عاتقنا، نقلتنا وزارة التعليم العالي بإسم رئاسة الجمهورية من أربيل إلى البصرة بالإكراه مع إبعاد حرمنا من عملها الاكاديمي وحددت إقامتها جبرياً في بغداد، ومع كل تلك القسوة التي إستعمله النظام العراقي تجاه الكُرد ومع مظاهر الجبروت التي تحلى بها البعثيون لتخويف الناس، فقد رفضنا بكل هدوء الرضوخ لذلك القرار فلم نلتحق بجامعة البصرة. وفي عام ١٩٨٣، وبالإستناد على قانون جمع شمل الأسرة، إستطعنا أن نجد حقاً في العيش بأحد فنادق بغداد والعمل بجامعتها، ومع ذلك لم يسعفنا القانون هنا لكي نمتلك حقاً من الحقوق المدنية كتأمين مسكن أو تسجيل عقار بحجة عدم مشاركتنا في عملية الاحصاء عام ١٩٧٧ داخل حدود محافظة بغداد. وعلى هذا الأساس أصبحنا في مسقط رؤوسنا وفي مكان عملنا غرباء وأقل مواطنة من الأجانب الذين وجدوا فرصاً للعمل في جميع أنحاء وطننا سواء كانوا من التايلنديين أو الصينين أو المصريين الذين حصلوا على الجنسية العراقية وحق الزواج والتملك والسكن أينما يشاؤون، وبناءً على معاهدة كامب ديڤيد فتحت لهم كل التسهيلات لكي يحولوا الأموال العراقية بعملات صعبة إلى مصر لتقوية إقتصادها بكل حرية وإطمئنان، الحق الذي كنا محرومين منه أيضاً. وأكثر من هذا وذاك فقد قررت المؤسسات الحزبية للسلطة في كركوك عام ١٩٨٧ بنسف مسكن شقيقنا الأكبر الذي يأوي والدتنا العجوزة بحجة وجود إخوان لنا في خارج العراق ومهما يكن من أمر، فإنّ مشاركتنا في تحديد مستقبل مدينة كركوك، بالإضافة إلى نواحيها الأدبية والأخلاقية، فهي واجب وحق من حقوقنا الإنسانية والوطنية، والمواضيع التى ستطرح في بحثنا تتعلق بإختصاصنا الدقيق وتتحدد بشكل مختصر عن كركوك في عصورها القديمة، وهي مجموعة من الحقائق ترتبط بفترات عديدة من تأريخ هذه المدينة وسكانها الأوائل، وإعتمدنا في هذا المجال، بالإضافة الى معلوماتنا الشخصية التي إستقيناها من الفترة التي عشناها في هذه المدينة، على مختلف المراجع، منها قديمة كالسومرية والأكدية والآشورية والإيرانية وحديثة كالألمانية والإنگليزية والروسية، وحاولنا بكل صدق أن نكون واقعيين في سرد الأحداث، نأمل من أسلوب طرحه أن نجد حلولاً صحيحة للمشاكل والخروقات التي شهدها مواطنوا كركوك. ومثلما رأينا في خطاب الأخوان المشرفين على الندوة في لندن، فإنّ المواضيع التي ستطرح فيها يمسّ إختصاصنا

بصورة مباشرة، لذلك سيكون بحثنا نبذة عن تاريخ مدينتنا العريقة كركوك، وهي أحد المواضيع المحددة في محور من محاور الندوة المذكورة التي نأمل من خلالها إيجاد حلول نظرية صحيحة لكل الخروقات المخالفة لحقوق مواطني كركوك الأصليين والله الموفق.

الدكتور جمال رشيد أحمد

هولنده ٢٥ كانون أول ٢٠٠١م